أثر القراءات القرآنيّة في الدلالة على المعنى المراد

إعداد: أنس حسن البنا محمد إبراهيم

ملخص البحث:

هذا القرآن دستور ومنهج للحياة، ولهذا كان هو أولى ما ينبغي الاشتغال به، تعلّمًا وتعليمًا، ودراسة وبحثًا، لأنه أصل الأصول هو الكتاب، وقد اتفق العلماء على أن القرآن هو كلام الله المبين الحاكم على عباده، فما اختلف العلماء في الكتاب، ولكن اختلفوا في أمر آخر مهم جداً ألا وهو: فهم دلالات الكتاب، وفهم المراد من كتاب الله جل في علاه، وفهم ما هو مراد الله من الآية أو من الحكم الشرعي، ومن العلوم المؤثّرة في فهم مراد الله من كتابه: هو علم القراءات، وتواترها سندًا ومتنًا، وقطعيّة ثبوتها يعطيها مكانة ومنزلة ليست لغيرها من العلوم الأخرى.

Summary

This Qur'an is a constitution and a method for life, and for this reason it is the first thing that should be occupied with, learning and teaching, studying and researching, because the origin of origins is the Book, and the scholars have agreed that the Qur'an is the clear speech of God, the Ruler over His servants. The scholars did not differ about the Book, but they differed about another very important matter, which is: understanding the implications of the Book, understanding what is meant by the Book of God, the Most High, and understanding what God means by the verse or the legal ruling. Among the sciences that influence understanding what God means by His Book is the science of readings, and their transmission in chain of transmission and text, and the certainty of their authenticity gives them a status and position that no other science has.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل

عمران:102]. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:1]. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:70 - 71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد:

فإن الله تعالى أنزل القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين بشيرا ونذيرا واخرجهم به من الظلمات إلى النور وهاداهم إلى طريق الحق والخير والرشاد يتخذوه هذا القرآن دستورا ومنهج للحياة، ولهذا كان هو أولى ما ينبغي الاشتغال به، تعلّمًا وتعليمًا، ودراسة وبحثًا، ذلكم لأنه أصل الأصول هو الكتاب، وقد اتفق العلماء على أن القرآن هو كلام الله المبين الحاكم على عباده، فما اختلف العلماء في الكتاب، ولكن اختلفوا في أمر آخر مهم جداً ألا وهو: فهم دلالات الكتاب، وفهم المراد من كتاب الله جل في علاه، وفهم ما هو مراد الله من الآية أو من الحكم الشرعي، ومن العلوم المؤثّرة في فهم مراد الله من كتابه: هو علم القراءات، وتواترها سندًا ومتنًا، وقطعيّة ثبوتها يعطيها مكانة ومنزلة ليست لغيرها من العلوم الأخرى.

وانطلاقًا من هذه الأهمية كان علم القراءات القرآنية من أهم العلوم التي حظيت باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته الكرام إلى يومنا هذا، وقد تصدّى لخدمة هذا العلم عدد كبير من علماء الإسلام لتعلق بكتابه الله تعالى، وهو أحد مزاياه الذي اختصه الله تعالى به؛ إذ أنزل على وجوه القراءات المختلفة، وتكفل بحفظه وترتيبه، فجاء مصرفا على أوسع اللغات تيسير لله ورفع الحرج عنها، وما ذاك إلا دليلا من دلائل إعجازه وبديع نظمه.

ولما كان هذا العلم بهذه الأهمية وهذه المكانة؛ خاصّة وأن له أثرًا بالغًا في فهم المعاني، واستنباط الأحكام، أحببت أن أسلّط الضوء على أثره في فهم المعاني، واستنباط الأحكام في هذه الورقة العلمية والتي عنونت لها بـ: "أثر القراءات القرآنية في فهم المعنى المراد".

المبحث الأول: القراءات

المطلب الأول: تعريف القراءات لغة اصطلاحًا:

أولا: تعريف القراءة لغة:

القراءات: جمع قراءة، وهي مصدر الفعل: قرأ، يقرأ، قراءةً، وقرآنًا، بمعنى: تلا، فهو قارئ[1]، وقر الكتاب: قراءة، وقرآنًا، تتبع كلماته نظرًا، ونطق بها، وتتبع كلماته ولم ينطق بها[2]. وأصل كلمة القرآن: الجمع، ومنه سمي القرآن قرآنًا؛ لأنَّه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) القيامة (١٧). أي: جمعه وقراءَتَه ... وقَرَأْتُ الشيء قرءانًا: جمعتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض"[3] .

ثانيًا: تعريف القراءات اصطلاحًا:

عُرّفت القراءات اصطلاحًا بعدة تعريفات، منها:

1. تعريف الإمام الزركشي: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها، من تخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرهما"[4].

2. تعريف الإمام ابن الجزري: "القراءات علمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[5].

3. تعريف الشيخ عبد الفتاح القاضي: "هو علمٌ يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا، مع عزو كل وجه إلى ناقله"[6].

وبالنظر في التعريفات السابقة يظهر أنها تدور حول محور واحد وأنَّ تعريف الإمام ابن الجزري من أخصر وأجمع وأضبط التعريفات في القراءات، حيث يقول بعد هذا التعريف: "والمقرئ العالم بها رواها مشافهةً فلو حفظ التيسير مثلاً ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه ممن "شوفه به مسلسلاً لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة "[7].

ومن خلال ما سبق يتضح ما يلي:"

1. أنّ مدلول القراءات يشمل ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها.

2. أنَّ المعتمد في تلقي القراءات هو السماع والمشافهة عمَّن أخذها سماعًا ومشافهةً عن شيوخه، مسلسلاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –.

المطلب الثاني: نشأة علم القراءات، وأسباب اختلاف القراء فيها:

([1]) ينظر: : القاموس المحيط للفيروز أبادي ص ٤٧.

([2]) المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ص ٧٥٦.

([3]) لسان العرب لابن منظور ج ١ ص ١٢٨.

([4]) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج ١ ص ٣١٨.

([5]) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٣.

([6]) البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ص ٥١.

([7]) منجد المقرئين لابن الجزري ص ٣.

ترتبط نشأة علم القراءات بنزول الوحي على نبيّنا الكريم صلى الله عليه وسلم؛ وذلكم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبلّغ الوحي المنزل إليه للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، فيتلقّونها منه تلقيًا مباشرًا وبدون وساطةٍ، ولقد جاءت آياتٌ كثيرةٌ لتبيّن كيف كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام ،وتُؤكدُ أمر تكفل الله تعالى بحفظ هذا القرآن، وتعليمه للنبي – صلى الله عليه وسلم –، ومن ذلك قوله تعالى: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) القيامة (١٦ – ١٨) فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد نزول هذه الآية إذا أتاه جبريل عليه السلام، استمع له وأنصت، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبي – صلى الله عليه وسلم – كما تلقَّاه من جبريل عليه السلام، وهذا يدل على أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – كان يُقرئ صحابته القرآن كما تلقَّاه من جبريل عليه السلام دون زيادةٍ أو نقصانٍ أو تغييرٍ[1].

وعلى الطريقة ذاتها سار الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من التابعين يعلمون النَّاس قراءة القرآن وأحكامه، وهكذا تلقى المسلمون القرآن، خلفًا عن سلفٍ، وأخذوه ثقةً عن ثقةٍ، حتى ينتهي الأمر إلى الصحابة الكرام، ثم إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

ومن رحمة الله تعالى بالأمَّة الإسلامية، وتوسعةً عليهم، ورفعًا للحرج عنهم أنزل القرآن على نبيّه على سبعة أحرفٍ وبها أقرأ صحابته، وأقرأ كل قبيلةٍ بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، مراعيًا بذلك لهجاتهم في النطق واللفظ، فقومٌ جرت عاداتهم بالهمز، وقومٌ بالتخفيف، وقومٌ بالفتح، وقومٌ بالإمالة، وكذلك اختلافهم في الإعراب وغيره، ولأجل هذا أباح الله تعالى لنبيّه أن يُيَسِّرَ على النَّاس، ويقرئَ كلَّ قبيلةٍ بما يَتَيَسَّر عليها، ويدل على ذلك أحاديثٌ كثيرةٌ منها: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده، ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرفٍ) [2] .

فكان كل صحابي يقرأ على الحرف الذي علمَّه إياه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكلَّما وقع اختلافٌ بين الصحابة في القراءة كانوا يحتكمون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فيفصل بينهم ويُقرُّ كلاً على قراءته بقوله: (إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسَّر منه) [3] .

([1]) ينظر: الاختلاف في القراءات القرآنية وأثرها في اتساع المعاني للدكتور إياد السامرائي, الشبكة الإلكترونية ص ١ – ٤.

([2]) صحيح البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٤ ص ١٩٠٩، ح ٤٧٠5, وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (ج ١ ص ٥٦1، ح ٨١٨) .

([3]) صحيح البخاري كتاب: فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ج ٤ ص ١٩٠٩، ح ٤٧٠٦, وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف (ج ١ ص ٥٦٠، ح ٨١٨) .

ثم تفرَّق الصحابة رضوان الله عليهم في البلدان، وصار كلُّ واحدٍ منهم يعلم أهل البلد القراءة التي تلقَّاها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما فيها من اختلافٍ في بعض كيفياتها عن قراءة الصحابي الآخر في بلدٍ آخر، فاختلف أخذ التابعين عن الصحابة، كما اختلف أخذ أتباع التابعين عن شيوخهم، وهكذا حتى وصل الأمر إلى القراء المشهورين الذين انقطعوا للقراءات والإقراء واعتنوا بها، وضبطوها وكرَّسوا حياتهم لأجلها، واختار كلُ واحدٍ منهم من القراءات الكثيرة قراءةً لزمَ القراءة والإقراء بها، وظلَّ المسلمون يقرءون القرآن على عددٍ كبيرٍ من القراء إلى أنْ بدأ العلماء في تصنيف القراءات فذكر بعضهم خمسة عشرَ رجلاً، وبعضهم ذكر اثنين وعشرين رجلاً، وبعضهم ذكر أقلّ من ذلك، إلى أن جاء الإمام أبوبكر بن مجاهد في القرن الرابع الهجري، "فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه من الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن"[1]، وهؤلاء السبعة هم ممن اشتهرت إمامتهم، وطال عمرهم في الإقراء، وارتحل الناس إليهم، ثم تابعه الناس على اقتصاره على هؤلاء السبعة، ثم ألحق المحققون بهؤلاء السبعة ثلاثةً آخرين، وهم: يعقوب الحضرمي، وخلف، وأبو جعفر بن قعقاع المدني[2]، وأصبحت القراءات المتواترة على رأي العلماء عشر قراءات، وذكر ابن الجزري أنَّ القراءات العشر لم ينكرها أحدٌ من الأئمة، وأثبت تواترها بذكر طبقات رواتها[3].

وبهذا أصبحت القراءات العشر هي القراءات المتداولة والمشهورة بين الناس، وأمَّا غير ذلك من القراءات فتعتبر شاذة، ولا يعتد بها.

المطلب الثالث: أركان القراءة المقبولة:

سبق في المطلب السابق بيان الطريقة والكيفية التي انتقل بها لقرآن جيلاً بعد جيل إلى أن اشتهرت القراءات العشر المتواترة، ومن المهم جدا هنا أن نشير إلى أن العلماء اشترطوا في القراءة المقبولة شروطًا أو أركانا ثلاثة، تعدّ القراءة بعدم توفر أي شرط منها قراءةً شاذّة، وهذه الشروط هي:

1. موافقة العربية ولو بوجهٍ.
2. موافقة خط أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.
3. صحة السند.

([1]) ينظر: : مجموع الفتاوى، لابن تيمية ج13 ص 390.

([2]) ينظر: : البرهان ج ١ ص ٣٣٠.

([3]) ينظر: : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ج ١ ص ٤٠.

وقد عبّر عن ذلك الإمام ابن الجزري بقوله: "كل قراءةٍ وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلُّ إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على النَّاس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركنٌ من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفةٌ أو شاذةٌ أو باطلةٌ سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة السلف والخلف"[1].

وعليه؛ فيجب أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه اللغة العربية، سواء كان فصيحًا، أو أفصح، مجمعًا عليه أم مختلفًا فيه اختلافًا لا يضرُّ مثله إذا كانت القراءة ممَّا شاع وذاع، وتلقَّاه الأئمة بالإسناد الصحيح، كما يجب أن تكون موافقة لخط أحد المصاحف التي كتبها عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأرسلها للأمصار، والشرط الأهم هو صحة سندها، بأن يكون كل رجال أسانيدها عدولاً ضباطًا، حتى ينتهي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غير شذوذٍ ولا علَّةٍ ويشترط في هذه القراءة أن تحظى بثقة أئمة القراءات الضابطين بحيث تكون مشهورةً لديهم متلقاةً بالقبول[2].

المطلب الرابع: أثر القراءات القرآنية في التفسير:

لاشك أن للقراءات القرآنية أثرًا واضحة في تفسير كلام الله عز وجل، وتضيف كل قراءة في الغالب فائدة معنوية ليست في غيرها، ومما يؤكد على هذا اهتمام علماء التفسير بتتبع الروايات، وتوجيهها، وبيان ما تفيده كل منها من معانٍ، ولكن من غير تناقضٍ في المعاني أو تباينٍ بينها، فالاختلاف الحاصل بين القراءات اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، وفي ذلك يقول ابن الجزري: "وأمَّا حقيقة اختلاف هذه السبعة أحرف المنصوص عليها من النبي – صلى الله عليه وسلم – وفائدته، فإن الاختلاف المشار إليه في ذلك اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ لا اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، فإنَّ هذا محالٌ أن يكون في كلام الله تعالى، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ وَلَو كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا) النساء (٨٢) "[3].

لا شك أنَّ القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز القرآني، إذ إنَّ كلَّ قراءةٍ بمنزلة الآية، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات من غير تناقضٍ ولا تضادٍ بينها في المعاني، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد، وفي هذا يقول الشيخ الزرقاني: "إن تنوع القراءات، يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز. أضف إلى ذلك ما في تنوع

([1]) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٩.

([2]) ينظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص ٣٢٠.

([3]) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٤٩.

القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أنَّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل، بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضًا، ويبين بعضه بعضًا ويشهد بعضه لبعضٍ، على نمطٍ واحدٍ في علو الأسلوب والتعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموّ الهداية والتعليم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف"[1] .

ومن خلال ما سبق يتضح ما للقراءات من أثرٍ بالغٍ في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، إذ إنَّ كل قراءة توضح وتبين معنًى جديدًا لم تبينه القراءة السابقة، وقد أرجع العلماء اختلاف القراءات القرآنية إلى سببين:

الأول: ما كان سببه يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية، والذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرفٍ تيسيرًا على الناس ورفعًا للحرج عنهم، وذلك كالاختلاف في تحقيق الهمز وتسهيله، والإمالة والفتح، ونحو ذلك.

الثاني: ما كان سببه يرجع إلى خاصيةٍ في القرآن نفسه وهو الإعجاز، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو إلى صيغة التكلم[2].

قال ابن عاشور في مقدمة تفسيره: "أرى أنَّ للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحالٍ، والثانية لها تعلقٌ به من جهاتٍ متفاوتةٍ".

أمَّا الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل، والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة. مثل عذابِيْ بسكون الياء، وعذابيَ بفتحها، وفي تعدد وجوه الإعراب مثل (حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بفتح لام (يقول) وضمها .... ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنَّها حفظت على أبناء العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخارجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بتلقي ذلك عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة، وهذا غرضٌ مهمٌ جدًا لكنَّه لا علاقة له بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي.

وأمَّا الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل: (مَالِكِ يَومِ الدِّينِ) (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الفاتحة (٤) و (نُنْشِزُها) ، (نُنْشِرُها) البقرة (٢٥٩) ، و (ظَنُّوا أنَّهُم قد كُذِّبوا) يوسف (١١٠) بتشديد الذال أو (قد كُذِبوا) بتخفيفه، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف

([1]) مناهل العرفان ج ١ ص ١٤٢، ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٥٢.

([2]) ينظر: منهج الإمام الطبري في القراءات, رسالة ماجستير للدكتور عبد الرحمن الجمل ص ٩٧.

معه معنى الفعل كقوله: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلا إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّون) الزخرف (٥٧) قرأ نافع بضم الصاد، وقرأ حمزة بكسر الصاد، فالأولى بمعنى: يصِدُّون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصلٌ منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلقٍ بالتفسير، لأنَّ ثبوت أحد اللفظين في قراءةٍ قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنًى غيره، ولأنَّ اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو (حتى يطَّهَّرْن) البقرة (٢٢٢) بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطاء، وضم الهاء مخففة، ونحو (لامَسْتُم النِّسَاءَ) و (لَمَسْتُم النِّسَاء) النساء (٤٣) والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيرًا للمعاني وأنا أرى أن على المفسر أن يبيِّن اختلاف القراءات المتواترة لأنَّ في اختلافها توفير معاني الآية غالبًا، فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن[1]".

وقال ابن الجزري: "وقد تدبرنا اختلاف القراءات كلها فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال:"

أحدها: اختلاف اللفظ، والمعنى واحد.

الثاني: اختلافهما جميعًا مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.

الثالث: اختلافهما جميعًا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

فأمَّا الأول: فكالاختلاف في (الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغاتٌ فقط.

وأمَّا الثاني: فنحو (مَالِكِ، وَمَلِكِ) في الفاتحة لأنَّ المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذا (يَكذِبون، ويُكَذِّبون) لأنَّ المراد بهما هم المنافقون

وأمَّا الثالث: فنحو (وظنُّوا أنَّهم قد كُذِّبُوا) بالتشديد والتخفيف .... فأمَّا وجه تشديد (كُذِّبُوا) فالمعنى وتيقن الرسل أنَّ قومهم قد كذَّبوهم، ووجه التخفيف، توهم المرسل إليهم أنَّ الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم "[2]. "

ومن خلال ما سبق يتضح تقسيم العلماء للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها أثرٌ في التفسير:

([1]) التحرير والتنوير لابن عاشور م ١ ج ١ ص ٥١ – ٥٦.

([2]) النشر في القراءات العشر ج ١ ص ٥٠.

كاختلاف القراء في حروف الكلمات مثل (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) و (مَلِكِ يَومِ الدِّينِ) الفاتحة (٤) ، وكاختلافهم في الحركات التي يختلف معها معنى الفعل مثل (يصِدُّون) و (يصُدُّون) فهذا الاختلاف في القراءات له أثرٌ في التفسير وإضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وهذا القسم على نوعين:

1. ما اختلف لفظه ومعناه مع جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ.

2. ما اختلف لفظه ومعناه مع عدم جواز اجتماعهما في شيءٍ واحدٍ بل يتفقان من وجهٍ آخر لا يقتضي التضاد.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ ليس لها أثرٌ في التفسير:

وذلك كاختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، وكمقادير المد، والإمالات، والتخفيف، والتسهيل والتحقيق، والجهر والهمس، والغنة والإخفاء، فهذا الاختلاف في القراءات على رأيهم ليس له أثرٌ في إضفاء معانٍ جديدةٍ على الآي، وإنَّما هي للتيسير ورفع الحرج عن الأمة، وهذا القسم على نوعين:

١. ما اختلف لفظه واتحد معناه.

٢. ما اتحد لفظه ومعناه ممَّا يتنوع صفة النطق به.

وبالنظر إلى التقسيم الذي ذكره العلماء يُلاحظ أنَّهم جعلوا قسمًا من القراءات القرآنية ليس له علاقة بالتفسير لاتحاد المعنى، ونسبوه إلى اختلاف اللغات، أو اختلاف وجوه النطق بالحروف والحركات، أو تعدد وجوه الإعراب، ولكن ظهرت بعض الفروق الدقيقة في المعنى بين القراءات التي عزاها المفسرون إلى هذا النوع من اختلاف القراءات، وسيأتي ذكر الشواهد على ذلك أثناء البحث.

وبناءً على ما سبق فلا يمكن أن نجزم بعدم وجود أثرٍ في التفسير لمثل هذا النوع، فبمزيدٍ من البحث والتنقيب في معاني القراءات ومدلولاتها قد يتوصل الباحثون إلى فروق في المعاني بين هذه القراءات يكون لها أثرٌ بالغٌ في تفسير كتاب الله تعالى، ولذلك نقترح تقسيمًا آخر للقراءات من حيث أثرها في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قراءاتٌ لها علاقة بالتفسير، وهو على نوعين:

١. ما له علاقة واضحةٌ وجليةٌ بالتفسير.

٢. ما له علاقة خفية غير واضحةٌ بالتفسير يمكن التوصل إليها بالبحث والدراسة.

القسم الثاني: وهو قراءاتٌ لا يظهر لها علاقة بالتفسير، ولكن لا نجزم بعدم وجود أثرٍ لها في التفسير فقد يتوصل الباحثون مستقبلاً إلى وجود بعض الفروق في المعاني بين هذه القراءات المختلفة.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقيةٌ على أوجه الاختلاف في القراءات وأثرها في التفسير

لقد تعددت أوجه الاختلاف في القراءات القرآنية لتتسع المعاني في الآية القرآنية ولتتحقق مقاصد الله تعالى من إرادة أكثر من معنًى في الآية الواحدة، أو إضافة دلالاتٍ أخرى في السياق القرآني موضع القراءة القرآنية لا تتحقق إلاَّ بها، وسنقتصر في هذا المقام على ذكر نماذج تطبيقية من القراءات المتواترة لوجوه متعددة من أوجه اختلاف القراءات على سبيل الاستشهاد بها لا على سبيل الحصر.

أولاً: اختلاف القراءات بتصريف الأفعال من ماضٍ ومستقبلٍ وأمرٍ:

– قال تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} سبأ (١٩).

القراءات:

1. قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمروٍ وهشامٌ (ربَّنا بَعِّدْ) بنصب ربَّنا على النداء، وبَعِّدْ بكسر العين المشددة بلا ألف وإسكان الدال.

2. قرأ يعقوب (ربُّنا بَاعَدَ) بضم باء ربُّنا، وبَاعَدَ بالألف وفتح العين والدال.

3. قرأ الباقون (ربَّنا بَاعِدْ) بنصب ربَّنا وبَاعِدْ بالألف وكسر العين وإسكان الدال[1].

المعنى اللغوي للقراءات:

1 – الرَّبُّ: اسم من أسماء الله تعالى، ولا يقال في غيره إلاَّ بالإضافة، ويُقال لكلِّ من مَلَك شيئًا هو ربُّه، والرَّبُّ في اللغة يطلق على المالك، والسَّيِّد، والمدَبِّر، والمرَبِّي، والقَيِّم، والمنْعِم[2].

2 – البُعد: اتساع المدى، والبعيد: المتنائي، وفي الدعاء: (بُعْدًا له) أي: هلاكًا له، ويُقال: (أبعَدَهُ الله) : أي نحَّاه عن الخير ولعنهُ[3].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن قوم سبأٍ إذ أنعم الله تعالى عليهم بنعمٍ جليلةٍ عظيمةٍ، ومن ضمنها أنه جعل بينهم في اليمن وبين قرى الشام التي بارك فيها بالماء والشجر قرىً متواصلةً يُرى بعضها من بعضٍ لتقاربها ظاهرةً لأبناء السبيل، وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام، وجعل السير من القرية إلى القرية مقدارًا واحدًا نصف يوم، ومكَّنهم من السير فيها متى شاءوا ليلاً ونهارًا آمنين من الجوع والعطش والتعب ومن الأعداء لا يخافون شيئًا. فبطروا هذه النِّعمة وسئموا أطيب العيش، وملُّوا العافية، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز ليركبوا الرواحل فيها

([1]) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٥٩.

([2]) ينظر: لسان العرب ج ١ ص ٣٩٩، مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٣٦.

([3]) ينظر: القاموس المحيط ص ٢٤٣, المعجم الوسيط ص ٨٣.

ويتزودوا للأسفار، فأجابهم الله إلى ذلك بتخريب تلك القرى وجعلها مفاوز قفارًا وذهب بما فيها من الخير، والماء، والشجر، وفرَّقهم في كل وجهٍ من البلاد[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (ربَّنا بَاعِدْ) بنصب (ربَّنا) على النِّداء، و (بَاعِدْ) بكسر العين وإسكان الدال، أنَّهم ذكروا ذلك على وجه الدعاء والمسألة والطلب، فطلبوا من ربِّهم أنْ يبعد بين أسفارهم بطرًا وأشرًا، وأن يطيل ذلك البعد، بدلالة الألف في (باعد) المقتضية للمد والتطويل[2].

وأمَّا قراءة (ربَّنا بَعِّدْ) بنصب ربَّنا على النداء، وبَعِّدْ بكسر العين المشددة وإسكان الدال، فإنَّها تفيد أنَّهم ذكروا ذلك على وجه الدعاء أيضًا، إلاَّ أنَّ الشَّدَّة تفيد التكرار والتشديد في الطلب، كأن يقول بعِّد بعِّد[3]، أي: أعظم البعد وشدِّدْهُ[4]، وفي ذلك دلالة على شدَّة بطرهم لتلك النِّعمة وملاحَّتهم على الله بإزالتها.

وأمَّا قراءة (ربُّنا بَاعَدَ) بضم باء ربُّنا، على أنّه مبتدأ و (بَاعَدَ) فعلاً ماضيًا على أنَّ الجملة خبر المبتدأ، فتفيد أنَّ الكلام إخبارٌ من الله تعالى عنهم، أنَّهم شَكُوا بُعْدَ أسفارِهم مع قربها وسهولة سلوكها وصلتها بالقرى، ورأوا أنَّ ذلك غير مقنعٍ لهم، إفراطًا في الترفُّه وعدم الاعتداد بما أنعم الله به عليهم[5].

الجمع بين القراءات:

القراءات الثلاث تصف أحوال هؤلاء القوم وحقيقة بطرهم قبل أن يحلَّ بهم خراب بلادهم، وذهاب خيراتها، فمنهم مَنْ بَطِرَ النعمة وملَّ العافية، فطلبوا أن يباعد الله بين أسفارهم، ومنهم من شدَّدَ في الطلب بأن يعظم الله البعد ويشدِّدُهُ عليهم إمعانًا في بطر النعمة وإنكارها، ومنهم منُ شَكَى بُعْدَ السفر بين القرى مع قربها وسهولة سلوكها، إفراطًا في الترفُّه وبطرًا وكفرًا للنعمة. فهم في كلِّ حالٍ بطرون أشرون منكرون نعم الله تعالى.

ثانيًا: اختلاف القراءات بالإثبات والحذف:

1 – قال تعالى: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ} الدخان (٢٥ – ٢٧)

القراءات:

([1]) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٥٧٣ – ٥٧٤, فتح القدير ج ٤ ص ٤٥٣.

([2]) ينظر: نظم الدرر ج ٦ ص ١٧٢.

([3]) ينظر: جامع البيان للطبري م ١٠ ج ٢٢ ص ٥٨.

([4]) ينظر: نظم الدرر ج ٦ ص ١٧٢.

([5]) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٥٩, فتح القدير ج ٤ ص ٤٥٣.

١. قرأ أبو جعفرٍ (فَكِهِين) بحذف الألف بعد الفاء.

٢. قرأ الباقون (فاكِهِين) بإثبات الألف بعد الفاء[1].

المعنى اللغوي للقراءات:

الفاكِه: الذي كثرت فاكهته، والفَكِه: الذي ينال من أعراض النَّاس، والفَكِه: الأشِر البَطِر، وقرئ: (وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكِهِين) أي: أشرين، وفاكهين أي: ناعمين[2].

التفسير:

تتحدث الآية الكريمة عن تعداد النعم الكثيرة التي كان يتمتع بها فرعون وقومُه في حياتهم، كانوا فيها لاعبين لاهين ومسرورين، كانوا أصحاب فاكهةٍ متنوعةٍ متعددةٍ، ولكنَّهم كانوا بطِرين مستَخِفّين مستهزئين لا يؤدون حقَّ الله تعالى في هذه النعم بالشكر والعبادة، فتركوها خلفهم بعد أن أهلكهم الله تعالى بالغرق، فلم تغن عنهم من الله شيئًا[3].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (فاكِهِين) بالألف بعد الياء أنَّ فرعون وقومه كانوا أصحاب فاكهة متنوعةٍ ومتعددةٍ وكانوا متنعّمين طيبي الأنفس. وأمَّا قراءة (فكِهِين) فقد أفادت أنَّهم كانوا يعيشون في نعمٍ كثيرةٍ ولكنهم كانوا أشرين بطرين لهذه النعم مستخِفّين مستهزئين بشكرها[4].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح حال قوم فرعون قبل الإغراق، فقد كانوا ينعمون بأطيب أنواع الفاكهة والثمار وكان لهم الأنهار المتدفقة، والآبار المترعة بالماء وكان لهم المال والخير الوفير، وكانوا ينعمون بعيشةٍ هنيةٍ ويستمتعون بأنواع اللّذة، ومع كل ذلك فقد كانوا بطرين، مستهزئين ومستخفين بشكر النعمة التي كانوا فيها، والله تعالى أعلم.

ومنها أيضا: حسرتا، وحسرتاي في قوله تعالى: قال تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} الزمر (٥٦).

القراءات:

1. قرأ أبو جعفر (يَا حَسْرَتايَ) بياء مفتوحة بعد الألف وسكنها ابن وردان بخلافٍ عنه.
2. قرأ الباقون (يا حَسْرَتا) بغير ياء[1].

([1]) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٩٩، البدور الزاهرة ص ٤٠٥.

([2]) ينظر: : لسان العرب لابن منظور ج ١٣ ص ٥٢٣.

([3]) ينظر: التفسير الواضح ج ٣ ص ٦٥.

([4]) ينظر: البحر المحيط لأبي حيان ج ٨ ص ٣٦, اللباب لابن عادل ج ١٧ ص ٣٢٢.

المعنى اللغوي للقراءات:

الحسرة: "الغم على مافاته والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه"[2]. .

وقال ابن منظور: "والحسرة: أشد الندم حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب لا منفعة فيه، ومن ذلك: قوله تعالى: (فلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) فاطر (٨) أي: حسرةً وندمًا"[3].

التفسير:

تشير الآية الكريمة إلى الحسرة والندم اللذين يشعر بهما الكافر يوم القيامة بسبب كفره وضلاله ومعصيته وتفريطه في أوامر الله تعالى وتقصيره في طاعته وحقه، ولم يقف الأمر به عند هذا الحد، بل كان من المستهزئين الساخرين بشريعة الله ودينه ورسوله والمؤمنين، والآية فيها تحذيرٌ لمن يتقاعس عن التوبة والإنابة إلى الله تعالى والدخول في دينه بعد أن بَّين لهم في الآيات السابقة سعة رحمته وعظيم مغفرته، وأمرهم بأن يتوبوا إلى الله تعالى ويسلموا له ويتبعوا أوامره قبل أن يأتيهم العذاب بغتةً، فيتحسرون ويندمون أشدَّ الندم يوم القيامة[4].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (يا حَسْرَتايَ) بالياء بعد الألف المبالغة في التحسر والندم يوم القيامة، قال البقاعي: "ودلَّ على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة أبي جعفر، (يا حَسْرَتايَ) بالجمع بين العوض وهو الألف والمعوض عنه وهو الياء، وحلَّ المصدر لأنَّ ما حلَّ إليه أصرح في الإسناد وأفخم وأدل على المراد وأعظم"[5]، وكذلك تفيد تعدد الحسرات يوم القيامة لتتابع الحسرات، حسرةً بعد حسرةٍ، وربما تفيد تثنية الحسرة، قال أبو حيان: "قرأ الجمهور يا حسرتا، بإبدال ياء المتكلم ألفًا، وأبو جعفر: يا حسرتاي، بياء الإضافة، وعنه: يا حسرتايْ بالألف والياء جمعًا بين العوض والمعوض، والياء مفتوحةٌ أو ساكنةٌ، وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه (كتاب اللوامح) : ولو ذهب إلى أنه أراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك، لأنَّ معناها لبٌ بعد لبٍ وسعدٌ بعد سعدٍ، فكذلك هذه الحسرة بعد حسرةٍ، لكثرة حسراتهم يومئذٍ، أو أراد حسرتين فقط، من فوت الجنة لدخول النار"[6].

([1]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٦٦٣، وتحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ص ١٩٧.

([2]) مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٣٥.

([3]) لسان العرب ج ٤ ص ١٩٠.

([4]) ينظر: جامع البيان للطبري م ١١ ج ٢٤ ص ١٤, تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٦٢.

([5]) نظم الدرر للبقاعي ج ٦ ص ٤٦٣.

([6]) البحر المحيط ج ٧ ص ٤١٧.

وقال ابن عاشور: وتعدية الحسرة بحرف الاستعلاء كما هو غالبها للدلالة على تمكن التحسر من مدخول (على) ، و (ما) في (ما فَرَّطْتُ) مصدرية، أي على تفريطي في جنب الله "[1]. "

وأمَّا قراءة (يا حَسْرَتَا) بالألف بدل (يا حَسْرَتِي) [2] وبدون ياء بعد الألف فإنها تدل على تعظيم الاستغاثة وشدتها حيث إنها أمكن في الاستغاثة بمد الصوت مع الألف، من الياء بدون ألفٍ مع أنَّ كليهما فيهما النداء والاستغاثة والعرب كانت تحول الياء التي في كتابة اسم المتكلم في الإستغاثة ألفًا فتقول يا ويلتا وياندما، فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء[3].

الجمع بين القراءات:

قراءة (ياحَسْرَتِي) بدون ألف مدية تدل على التحسر والندم والاستغاثة، وقراءة (ياحَسْرَتَا) بدون ياء الإضافة أضافت معنى: المبالغة والشدَّة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم، وأما القراءة الثانية: (ياحَسْرَتَاي) فقد أضافت معنىً آخرَ بالإضافة إلى المبالغة في الاصطراخ والاستغاثة والمناداة والندم وهو: تكرار الحسرات وكثرتها وتتابعها، حسرةً بعد حسرةٍ يوم القيامة على هذا الكافر واستحالة استدراكه ما فاته، فيتحسر على فوت الجنة ويتحسر على دخوله النار، ويتحسر على مافاته في الدنيا دون الرجوع إلى الله تعالى .... وفي ذلك أيضًا دلالةٌ على شدة التحذير والنذير والوعيد للكفار الذين لم يسلموا بعد قوله تعالى: (وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ) الزمر (٥٤) .

ثالثًا: اختلاف القراءات بالإبدال:

– قال تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} الزخرف (١٩)

القراءات:

١. قرأ المدنيان[4]، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب (عِنْدَ الرَّحْمَنِ) بنون ساكنة، وفتح الدال، من غير ألف على أنه ظرف.

٢. قرأ الباقون[5] (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) بالباء وألفٍ بعدها، ورفع الدال، جمع عبد[6].

المعنى اللغوي للقراءات:

([1]) التحرير والتنوير م ١١ ج ٢٤ ص ٤٥ – ٤٦.

([2]) هذه قراءة الحسن وهي شاذةٌ, واستُشهِدَ بها هنا للدلالة على أنَّ القراءات الأخرى التي قرئ بها على غير ما يلفظه العرب.

([3]) ينظر: جامع البيان م ١١ ج ٢٤ ص ١٣، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٣٠.

([4])المدنيان: نافع ويزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني.

([5])الباقون: باقي القراء العشرة.

([6]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩.

العبدُ: هو الإنسان حرًّا أو رقيقًا، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه جل وعز، ويقال فلانٌ عبدٌ بيّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[1]. يقال: "عبَد اللَّه، عبادةً، وعبوديَّةً: انقاد له وخضع وذَلَّ. ويقال: عبَّدَه: ذلَّله"[2].

التفسير:

تأتي هذه الآية الكريمة استكمالاً لآية سابقة، فيها إنكارٌ شديدٌ على هؤلاء المشركين وبيان حال كفرهم وما وصلوا إليه من افتراءٍ وتكذيبٍ في أن جعلوا الملائكة بنات الله، ومعنى الآية: "لقد جعل الكفار والمشركون الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، فمن قال لهم إنَّ الملائكة إناثٌ؟ هل أحضرهم الله يوم خلق الملائكة فعرفوا أنَّهم إناثٌ، وهل رأوهم وخالطوهم حتى يحكموا عليهم بالأنوثة أو الذكورة؟ إنَّ هذا"

الافتراء الواضح والسخف الفظيع سيسجَّلُ عليهم في اللوح المحفوظ وسيُسألون عنه يوم الحساب، وسيلقون جزاءهم على هذا الافتراء"[3]. "

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (عِنْدَ الرَّحْمَنِ) على الظرفية تدل على رفع منزلة الملائكة وتقريبهم من الله عز وجل كما قال: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسِيحُ أنْ يَكُونَ عَبْدًا للهِ ولا الملائِكَةُ المقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا) النساء (١٧٢) ، والقرب قرب كرامةٍ وليس قرب المسافة، فمعناه الذين هم أقرب إلى الله منكم[4]. ففي هذه القراءة دلالةٌ على شرف منزلتهم وجلالة قدرهم، وفضلهم على الآدميين.

وأمَّا قراءة (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) على أنها جمع عبدٍ، فيها إخبارٌ أنَّ الملائكة عباده، والولد لا يكون عبد أبيه، فهذه القراءة تكذيب للكفار في ادعائهم أنَّ الملائكة إناثٌ بنات الله، كما قال تعالى: (أَمْ خَلَقْنَا المِلائكَةَ إناثًا وَهُمْ شاهِدُون) الصافات (١٥٠) وفيها التسوية بين الملائكة وغيرهم في العبودية لله تعالى[5].

الجمع بين القراءات:

القراءتان معًا تعطيان وصفًا دقيقًا للملائكة، أنهم عباد الرحمن تشريفًا لهم، وتنزيهًا عن أن يكونوا أبناء الله، وأنَّهم في منزلةٍ قريبةٍ ودرجةٍ عاليةٍ عند الله تعالى، دلالةً على إخلاصهم في الطاعة والعبودية،

([1]) ينظر: لسان العرب ج ٢ ص ٢٧١.

([2]) المعجم الوسيط ص ٦٠٨.

([3]) المستنير في تخريج القراءات المتواترة لمحمد محيسن ج ٣ ص ٥٩.

([4]) تفسير المراغي م ٩ ج ٢٥ ص ٧٨.

([5]) ينظر: الحجة في القراءات السبع ص ٣٢٠، حجة القراءات ص ٦٤٧.

وقد جمع الله تعالى بين الوصفين في غير هذه الآية فقال: (بل عبادٌ مُكرَمُون) الأنبياء (٢٦)[1]، وكلتا القراءتين فيها الإنكار على الكفار والتكذيب لهم في ادعائهم أن الملائكة بنات الله من حيث إنهم جعلوا له من عباده بناتٍ على القراءة الأولى (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) ، وإذا كانوا عند الرحمن في منزلةٍ عاليةٍ وهم في السماء كيف علموا بخالهم وهم أبعد ما يكون للعلم بخالهم[2] على القراءة الثانية (عِنْد الرحمن) .

رابعًا: اختلاف القراءات بالبناء للفاعل والمفعول:

– قال تعالى: {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} فصلت (٢١)

القراءات:

١. قرأ يعقوب (تَرْجِعُونَ) بفتح التاء وكسر الجيم على المبني للفاعل.

٢. وقرأ الباقون (تُرْجَعُونَ) بضم التاء وفتح الجيم على المبني للمفعول[3].

المعنى اللغوي للقراءات:

الرجوع: العود إلى ما كان منه البدء، فالرجوع: العود، والرَّجْعُ: الإعادة، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، وقوله: (ارْجِعُون) أي: ردُّوني إلى الدنيا[4].

التفسير:

تعرض هذه الآية الكريمة لمشهدٍ عظيمٍ من مشاهد يوم القيامة– يحدث مع الكفار المجرمين يوم يحشرهم الله تعالى للحساب– لا تتصوره عقولهم، فتشهد عليهم جوارحهم وأعضاؤهم بأمر الله تعالى، بما اقترفوه من جرائم وآثام، فيسألون بتعجبٍ واستغرابٍ جوارحهم وأعضاءهم (لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا) فترد عليهم الجوارح التي أنطقها الله تعالى، أنَّ الذي أنطقنا هو الله الذي أنطق كل شيءٍ[5]، وقوله: (هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِليهِ تُرْجَعُون) ، قال الألوسي: "يحتمل أن يكون من تمام كلام الجلود ومقول القول، ويحتمل أن يكون مستأنفًا من كلامه عز وجل، والأول أظهر"[6]، "والمعنى: أنَّ من قدر على خلقكم وإنشائكم ابتداءً قدر على إعادتكم ورجعكم إليه"[7].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

([1]) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٤٩.

([2]) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ج ٣ ص ٢٠٥.

([3]) ينظر: الشامل في القراءات المتواترة لمحمد حبش ص ٢٤٨، إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٩.

([4]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٤٢, لسان العرب ج ٨ ص ١١٤.

([5]) ينظر: جامع البيان ج ٢١ ص ٦٨.

([6]) روح المعاني للألوسي ج ٢٤ ص ١١٦.

([7]) فتح القدير للشوكاني ج ٤ ص ٧١٨.

أفادت قراءة (تُرْجَعُون) على البناء للمفعول أنَّ الرجوع يوم القيامة يكون على غير إرادتهم إلى الله تعالى قسرًا وبأيسر أمرٍ، وهم كارهون بقوةٍ خارجةٍ عن الإرادة تدفعهم بالرجوع إلى الله تعالى.

وأمَّا قراءة (تَرْجِعون) على البناء للفاعل، فقد أفادت وقوع الرجوع منهم وبذاتهم أنهم يرجعون إلى الله يوم القيامة ليحاسبهم سواء كرهوا أم رضوا ذلك. قال ابن عاشور: "والقراءة الأولى- قراءة الضم- على اعتبار أنَّ الله أرجعهم، وإن كانوا كارهين لأنهم أنكروا البعث، والقراءة الثانية- قراءة الفتح- باعتبار وقوع الرجوع منهم بغض النظر عن الاختيار أو الجبر"[1]. هذا على اعتبار أنَّ الكلام في قوله: (وإليه تُرْجَعُون) من تتمة كلام الجلود. وأمَّا على معنى أن الكلام مستأنفٌ من كلام الله تعالى فربما تفيد معنىً آخر، وهو أنَّ قراءة (تَرْجِعُون) بالفتح المقصود بها المؤمنون، لأنهم يتمنون الرجوع إلى الله تعالى، كذلك جاءت بصيغة الرغبة والإرادة، والقراءة الأخرى (تُرْجَعُون) على المبني للمفعول المقصود بها الكفار لأنَّهم يتمنون عدم الرجوع إلى الله تعالى، ولذلك جاءت بصيغة الإجبار[2].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين المعنى أن الجميع راجعٌ إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب سواءً أحب لقاء الله تعالى واختار الرجوع أم كره لقاءه وأُجبِر على الرجوع.

٢ – قال تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} محمد (٤)

القراءات:

١. قرأ حفصٌ وأبو عمرٍو، ويعقوب (قُتِلوا) بضم القاف وكسر التاء.

٢. قرأ الباقون (قاتَلُوا) بالألف وفتح التاء[3].

المعنى اللغوي للقراءات:

أصلُ القَتْلِ: إزالة الروح عن الجسد، كالموت، لكن إذا اعتُبِرَ بفعل المتَوَلّي لذلك يُقال: قَتْلٌ، وإذا اعتُبِرَ بِفَوت الحياةِ يُقال: مَوْتٌ. والمقَاتَلَة: المحاربة وتحرّي القَتْل، ومثله قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ) البقرة (١٩٣) . وهي على صيغة المفاعلة[4] التي تعني المشاركة بين طرفي الفعل.

التفسير:

([1]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ص ٣٧٤، المبسوط في القراءات العشر ص ٢٥٠.

([2]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٧٠٠.

([3]) ينظر: التحرير والتنوير م ١ ج ١ ص ٣٧٧ عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

([4]) ينظر: تفسير الشعراوي ج ١ ص ٢٣١، عند تفسيره للآية (٢٨) من سورة البقرة.

يأمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة المؤمنين بجهاد الكافرين، مع بذل الجهد في قتلهم لتطهير الأرض من رجسهم، حتى لا تبقى لهم شوكةٌ، ولا قوةٌ في الأرض ليكونوا أذلةً صاغرين أمام عزة المؤمنين، كما ويرشدهم سبحانه وتعالى إلى كيفية التعامل معهم في المعارك والحروب وذلك بضَربِ رِقابِ الكافرين في القتال حتى يهزموهم ويكثروا فيهم القتل والجراحات، ولم تبق لهم قوةٌ فيأسروهم ويشدوا عليهم الحبلَ، وبعد ذلك إمَّا أنْ يمُنُّوا عليهم ويطلقوا سراحهم، وإمَّا أن يطلقوهم نظير فديةٍ[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (قُتِلوا) بضم القاف وكسر التاء بدون ألفٍ: أن الله تعالى وعد الذين قُتِلوا في سبيل الله تعالى على أيدي الكفار، بأنَّهم لن يُذْهِبَ عملهم وسيهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة، قال مكي بن أبي طالب: "وفي هذه القراءة قوةٌ وزيادة معنًى، وذلك أنَّ من قُتِل في سبيل الله لم يقتل حتى قاتل، فقد اجتمع له القتال في سبيل الله تعالى ثم القتل، فكان من قُتِل في قتال في سبيل الله، فقد قاتل، وليس كل من قاتل قُتِلَ"[2].

وأمَّا قراءة (قاتلوا) بالألف، وفتح التاء، فإنَّها تفيدُ أنَّ وَعْدَ الله تعالى عامٌّ لجميع من قاتل في سبيل الله تعالى سواءً قُتِلَ أو لم يُقْتَل، قال ابن زنجلة: "وقرأ الباقون (قاتَلُوا) وحجتهم أن (قاتَلُوا) أعمُّ ثوابًا وأبلغ للممدوح في المجاهدين في سبيل الله، لأنّه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله، وإن لم يُقْتَل ولم يَقْتُل كان أعمَّ من أن يكون ذلك الوَعْدُ منه لمن قُتِلَ دون من قاتل"[3].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّ الله تعالى وَعَدَ جميع من قاتل في سبيله سبحانه وتعالى سواء قُتِلوا أو لم يُقتَلوا بأنَّه لن يُضَيّع أعمالهم ولن يهلكها بل يجازيهم عليها في الآخرة، قال البقاعي: "وفي قراءة البصريين، وحفص (قُتِلوا) وهي أكثر ترغيبًا، والأولى (قاتلوا) أعظم ترجيةً"[4].

خامسًا: اختلاف القراءات بالإفراد والتثنية والجمع:

١ – قال تعالى: وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) الزخرف (٣٧ – ٣٨)

القراءات:

١. قرأ المدنيان، وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر (جاءَانا) بألف بعد الهمزة على التثنية.

([1]) ينظر: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٧٦.

([2])الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٧٦.

([3])حجة القراءات ص ٦٦٦، ينظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن الفارسي ج ٣ ص ٤٠٢.

([4])نظم الدرر ج ٧ ص ١٥٣.

٢. قرأ الباقون (جاءَنا) بغير ألف على المفرد[1].

المعنى اللغوي للقراءات:

جاء: بمعنى أتى، يقال: جاءَ يَجِيءُ جَيْئًا، وجَيْئَة، ومَجِيئًا، ويقال: جاء بالشيء: أتى به[2].

التفسير:

هاتان الآيتان استكمالٌ لآية سابقة، يُبَيِّنُ اللهُ جل جلاله فيهما أن الشياطين الذين يتسلطون على الكفار يصدونهم عن سبيل الهدى، ومن جهل هؤلاء الكفار يحسبون أنَّ الشياطين مهتدون فيطيعونهم، ولا يزال الشيطان يُغري أتباعه فإذا ما جاء يوم القيامة وبعث الله كل عاصٍ وشيطانه عندئذٍ يرى العصاة ما كانوا عليه من الضلال، فيقول كلٌّ منهم حسرةً وندامةً لشيطانه: يا ليت الدنيا فرَّقت بيني وبينك، وباعدت بيننا بعد المشرقين، فبئس الصاحب أنت، لقد جلبت عليَّ الويلات، وأوقعتني في تلك المصائب والنكبات[3].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (جاءانا) على التثنية، الإخبار عن الكافر وشيطانه المصاحب له بالمجيء إلى المحشر يوم القيامة.

وأمَّا قراءة (جاءنا) على التوحيد أفادت الإخبار عن الكافر وحده بالمجيء إلى المحشر[4]. وفي كلتا القراءتين يقول العاشي أي: (الكافر) لقرينه الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) أي: قال في ذلك الوقت لقرينه الذي أغواه يا ليت بيني وبينك بعد ما بين المشرق والمغرب فلم أرك ولم أغتر بك فبئس القرين كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين أنت لي اليوم، حيث إنهما يكونان مشدودين في سلسلةٍ واحدةٍ زيادةَ عقوبةٍ وَغَمٍّ[5].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتَبيَّن أنَّ كلاً من الكافر وقرينه الشيطان الذي أغواه سيحشران معًا في عذابٍ واحدٍ يوم القيامة، فقراءة (جاءنا) بالإفراد أوضحت أن الكافر يجيء يوم القيامة إلى المحشر، ولا تصرح بمجيء الشيطان معه، ولكنَّه يُفهم ضمنيًّا من قوله تعالى: (يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المِشْرِقَيْنِ) ،

([1]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٩.

([2]) ينظر: القاموس المحيط ص ٣٦, المعجم الوسيط ص ١٧٠.

([3]) ينظر: التفسير الواضح م ٣ ج ٢٥ ص ٤٥, المستنير في تخريج القراءات المتواترة للدكتور محمد محيسن ج ٣ ص ٦٢.

([4]) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٥٩.

([5]) ينظر: مجمع البيان للطبرسي م ٥ ج ٢٥ ص ٨٦.

وأما قراءة (جاءانا) بالتثنية فصرَّحت بمجيء الاثنين معًا في سلسلةٍ واحدةٍ الكافر وقرينه الشيطان، فأوضحت ما أبهمته القراءة الأولى[1].

٢ – قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} الزمر (٣٦)

القراءات:

١. قرأ أبو جعفر، وحمزة، والكسائي، وخلف (عِبَادَهُ) بألفٍ على الجمع.

٢. قرأ الباقون (عَبْدَهُ) بغير ألف على التوحيد[2].

المعنى اللغوي للقراءات:

العبدُ: هو الإنسان حرًّا أو رقيقًا، يُذهبُ بذلك إلى أنه مربوبٌ لباريه جل وعز، ويقال فلانٌ عبدٌ بيّن العبودية، وأصل العبودية الخضوع والتذلل[3].

التفسير:

تأتي هذه الآية في سياق الرّد على كفار قريشٍ عند تهديدهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بآلهتهم أنها ستصيبه بسوءٍ كما يزعمون بسبب سبّه آلهتهم وتعييبها، فيخبر الله تعالى فيها رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – أنه حاميه وكافيه من كل سوءٍ وشرٍ وحافظه من كل أذًى وبأسٍ فلا معنى لتهديدهم وتخويفهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنَّ هذا التخويف والتهديد في غير محله وهو محض كذبٍ وافتراءٍ وادعاءٍ باطلٍ لا أساس له من الصحة لأنَّ هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع. والهمزة في قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللهُ بكَافٍ عَبْدَهُ) للتقرير بمعنى: أليس الله كافيًا عبده ورسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – من شر من يريده بسوءٍ؟ ، وفي إضافته إليه تشريفٌ عظيمٌ لنبيه[4].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

تفيد قراءة (عَبْدَهُ) على التوحيد أن المراد بالخطاب هو سيدنا محمدٌ – صلى الله عليه وسلم – بمعنى أليس الله بكافٍ عبده محمدًا، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: (وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ) يعني الأصنام.

([1]) ينظر: التحرير والتنوير م ١٢ ج ٢٥ ص ٢١٣.

([2])النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٣.

([3]) ينظر: لسان العرب ج ٢ ص ٢٧١.

([4]) ينظر: البحر المحيط ج ٥ ص ٧٠٧, الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٩.

وأمَّا قراءة (عِبَادَهُ) على الجمع فإنَّها تفيد أن المراد بالخطاب هو جميع الأنبياء عليهم السلام ثم رجع إلى مخاطبةِ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم – فهو داخلٌ في الكفاية[1] وأضاف القرطبي على ذلك أن المؤمنين يدخلون في الخطاب أيضًا مع الأنبياء فقال: "وقرأ حمزة والكسائي (عِبَادَهُ) وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم"[2].

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن: أنَّ الله عز وجل تكفل دائمًا بحماية وحفظ عباده المؤمنين جميعًا بدءًا بالأنبياء كلهم ومن بعدهم ممن آمنوا معهم وأطاعوهم إلى يوم الدين وعلى هذا يكون الخطاب شمل جميع المؤمنين أيضًا بما فيهم سيدنا محمدًا – صلى الله عليه وسلم – والأنبياء قبله.

سادسًا: اختلاف القراءات بالحركة غير الإعرابية:

١ – قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} الزمر (٨).

القراءات:

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلَّ عَن سَبِيلِهِ) بفتح الياء.

٢. قرأ الباقون (لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ) بضم الياء[3].

المعنى اللغوي للقراءات:

الضلال: هو العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية والرشاد، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدًا كان أو سهواً[4].

التفسير:

يخبر المولى عز وجل في هذه الآية عن حال الإنسان الكافر إذا أصابه شدةٌ من فقرٍ أو مرضٍ أو بلاءٍ، تضرع إلى ربه بالدعاء في إزالة تلك الشدة، مقبلاً إليه محبًّا مطيعًا، ثم إذا أعطاه وملَّكه نعمةً منه، وفرَّج عنه كربته نسي هذا الإنسان ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضرِّ عنه، وقيل نسي الضرَّ الذي كان يدعو ربه لكشفه، وتمرَّد وطغى، وجعل لله شركاء في العبادة ليصد عن دين الله

([1]) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع ج ٢ ص ٢٣٩.

([2]) الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢١٩.

([3]) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ص ٤٨٠, حجة القراءات ص ٦١٩.

([4]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٠٩.

وطاعته[1]. وفي قوله: (قل تمتع بكفرك قليلاً) أمرٌ من الله بالتهديد لهذا الإنسان الكافر، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية وتلذذ فيها، وأنت على كفرك، عمرًا قليلاً فإن مصيرك إلى نار جهنم.

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

أفادت قراءة (ليَضلَ) بالفتح أنه بسبب اتخاذه أندادًا لله فقد ضلّ هو عن سبيل الله أو ازداد ضلالاً إلى ضلاله، قال الزمخشري: "وقرئ (ليَضِل) بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادًا"، ضلالُه عن سبيل الله أو إضلاله "[2]. "

وأما قراءة (ليُضِل) بالضم: تفيد أنه جعل لله أندادًا أي: شركاء من الأصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها ليُضِلَّ الناس عن طريق الله تعالى، قال أبو حيان: "وقرأ الجمهور (ليُضِلَ) بضم الياء، أي: ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل"[3].

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتبين لنا أنَّ هذا الكافر الذي أشرك بالله تعالى وجعل له أمثالاً وأشباهًا قد ضل عن سبيل الله تعالى ولم يكتف بضلال نفسه هو، إنما تعدى ذلك إلى إضلال الناس وصدهم عن سبيل الله تعالى وطاعته إما بفعله أو قوله إلى أن يشاركه في ذلك الإثم والضلال، فيزداد بذلك إثمًا على إثمه، وضلالاً على ضلاله.

2. قال تعالى: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ} الدخان (٤٧).

القراءات:

١. قرأ نافعٌ، وابن كثيرٍ، وابن عامرٍ، ويعقوب (فَاعْتُلُوهُ) بضم التاء.
٢. قرأ الباقون (فاعْتِلُوهُ) بكسر التاء[4].

المعنى اللغوي للقراءات:

العُتْلُ: الأخذ بمجامع الشيء وجرُّه بقهرٍ، والعَتْل: الدفع والإرهاق بالسَّوق العنيف، والعُتُلُّ هو: الشديد الجافي، والفظ الغليظ من الناس، يقال: عَتلَه يَعْتِله، و يَعْتُله عَتْلاً، أي: جَرَّه جَرًّا عنيفًا، وجذبه فحمله[5].

التفسير:

([1]) ينظر: فتح القدير ج ٤ ص ٦٣٥.
([2]) الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٣٨٩, وينظر: روح المعاني ج ٢٣ ص ٢٤٥.
([3]) البحر المحيط ج ٧ ص ٤٠١.
([4]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٧١، تحبير التيسير ص ٢٠٥.
([5]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٥٤٦, لسان العرب ج ١١ ص ٤٢٣.

في سياق الحديث عن وعيد الله تعالى للكافرين الجاحدين، وما يتعرضون له من عذابٍ شديدٍ مُذِلّ ومُهينٍ يوم القيامة، تأتي هذه الآية الكريمة لتكشف عن مشهدٍ آخر من مشاهد العذاب والإذلال يتعرض له هؤلاء الكفار المجرمون على أيدي ملائكة العذاب فيقول تعالى: (خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) والمعنى: أي: "يقال لزبانية جهنَّم: خذوه فجرُّوه جرًّا بعنفٍ وشدةٍ، خذوه فجُرُّوه إلى وسط جهنم، ثم صُبُّوا فوق رأسِه عذابًا وهو الحميم"[1].

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ العلاقة بين القراءتين لغويةٌ ومعناهما واحدٌ، قال السمرقندي: "قرأ نافعٌ، وابن كثير، وابن عامرٍ، (فاعتُلوه) بضم التاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، معناهما واحدٌ، يعني: امضوا به بالعنف والشِّدة"[2] .

إلاَّ أنَّ قراءة الضمِّ لها دلالة المبالغة والشدة في جرِّ الكفَّار إلى العذاب وتعنيفهم أكثر منه في قراءة الكسر، لأنَّ الضمَّ أقوى الحركات مما يدل على ثقل حالة الفعل الحاصل للكفاَّر من جرٍّ إلى نار جهنَّم، وقراءة الكسر تدل أيضا على شدة جرِّ الكفار وتعنيفهم إلاَّ أنَّ قراءة الضم أشدُّ وأبلغ وأعنف.

قال البقاعي: "(فاعتُلوه) أي: جرُّوه بقهرٍ وعنفٍ وسرعةٍ إلى العذاب، والإهانة بحيث يكون كأنَّه محمولٌ، وقال الرازي في اللَّوامع: والعتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجرُّه، وقراءة الضمِّ أدلُّ على تناهي الغلظة، والشدة من قراءة الكسر"[3] .

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءتين يتضح أنَّ الكفار والمكذبين يُجَرُّون جميعهم إلى نار جهنم بعنفٍ وشدةٍ وإذلالٍ، إلاَّ أنَّ درجة العنف والشدة في تعامل الملائكة للكفار تتفاوت بما يتناسب ودرجة كفرهم وتكذيبهم وعداوتهم للمسلمين، فهي مع أرباب الكفر وزعمائه أشدُّ وأعنف وأبلغ من عامَّة المكذبين والكافرين، فكلَّما زادت درجة الكفر والتكذيب والعداء كلَّما اشتد الإذلال والقهر والإهانة لهم، والله أعلم.

سابعًا: اختلاف القراءات بالحركة الإعرابية:

1 – قال تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} فصلت (١٠).

القراءات:

([1]) التفسير الواضح ج ٣ ص ٦٩.

([2]) بحر العلوم للسمرقندي ج ٣ ص ٢٢٠.

([3]) نظم الدرر ج ٧ ص ٨٢.

١. قرأ أبو جعفر (سواءٌ) بالرفع.

٢. قرأ يعقوب (سواءٍ) بالخفض.

٣. قرأ الباقون (سواءً) بالنصب[1].

المعنى اللغوي للقراءات:

"المساواة: المعادلة المعتبرة بالذرع والوزن والكيل، يقال: هذا ثوبٌ مساوٍ لذاك الثوب أي: مستوٍ طوله وعرضه وطبقاته، والسواء: العدل، وساواه: ماثله وعادله[2]. "

التفسير:

تأتي هذه الآية استكمالاً لآيةٍ سبقتها فيها الإنكار الشديد من رب العزة سبحانه وتعالى على أولئك المشركين الذين عبدوا معه غيره وساووا بينه وبين ما يعبدون من أصنامٍ لا تضر ولا تنفع، وهو الخالق المبدع لكلِّ شيءٍ، بيده الأمر كله، المقتدر على كل شيء، فيعرض المولى عز وجل في هذه الآية الدلائل القاطعات الواضحات على وحدانيته، وعظيم قدرته، وتفرده بالألوهية، فيقول: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبارَكَ فِيهَا) "أي: جعلها مباركةً قابلةً للخير والبذر والغراس، (وقدَّر فيها أقواتَها) وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق، والأماكن التي تزرع وتغرس، يعني: يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة".

لهذا قال: (فِي أَرْبَعَةِ أَيَامٍ سَوَاءً للسَّائِلِينَ) "[3]. " أي: مستوية كاملة من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ للسائلين عن مدة خلق الأرض، وقيل: معناه للذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، فإن كلاً يطلب القوت، ويسأله"[4]. ""

العلاقة التفسيرية بين القراءات:

كل قراءةٍ من القراءات الثلاث أفادت معنىً آخر مغايرًا لمعنى القراءة الأخرى: فقراءة (سواءٍ) بالخفض أفادت أنها نعت لأربعة أيام، فيكون المعنى: "في أربعة أيامٍ مستويات تامَّاتٍ للسائلين"[5] .

([1]) ينظر: النشر في القراءات العشر ج ٢ ص ٣٦٦.

([2]) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٣٩, المعجم الوسيط ص ٤٩٢.

([3]) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٩٥.

([4]) مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٧.

([5]) نظم الدرر ج ٦ ص ٥٦٦، ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ص ١٢٥٣, معالم التنزيل للبغوي ج ٤ ص ٩٦.

وأمَّا قراءة (سواءٌ) بالضم أفادت "أنها خبر لمبتدأ محذوف أي: هي سواء"[1]. وجاء في مفاتيح الأغاني: "من رفع فعلى معنى: هي سواءٌ للسائلين، وقال السدِّي وقتادة: سواء لا زيادة ولا نقصان، جوابًا لمن سأل: في كم خلقت الأرض؟"[2].

وأمَّا قراءة (سواءً) بالنصب، أفادت أنَّها حال من ضمير (أقواتها) أو من أيام أو بالنصب على المصدر فيكون المعنى: استوت سواءً واستواء "[3]. "

الجمع بين القراءات:

وبالجمع بين القراءات يظهر من المعنى: أنَّ الله تعالى، قدَّر فيها أقواتها سواءً أي: كاملةً من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، لأجل الطالبين المحتاجين، الذين يسألون الله أرزاقهم ويطلبون أقواتهم، ولِمن سأل عن الأمر واستفهم عن حقيقة وقوعه، وأراد العبرة منه، فإنه يجده كما قال تعالى، كل ذلك في أربعة أيامٍ، كاملةٍ تامةٍ مستويةٍ بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ.

الخاتمة

وها قد وصلت بحمد الله وفضله إلى نهاية البحث، وأسطر هنا أبرز ما وصلت إليه من نتائج:

١. علم القراءات القرآنية من العلوم المهمة التي لا بد لمن يشتغل في علم التفسير أن يتعلمها وأن يكون على درايةٍ بها، لما لها من أثرٍ بالغ في بيان مراد الله تعالى.

٢. القراءات القرآنية العشر جميعها وحيٌ من الله تعالى، وهي من الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها، ولا مجال للاجتهاد فيها، ولا يجوز لأحدٍ أن يردَّ قراءةً ثبت تواترها واشتملت على شروط الصحة، وقد جانب الصواب من ردَّ قراءةً متواترةً أو فاضل بينها.

٣. لا يعتدُّ بإنكار أهل النحو واللغة لبعض القراءات المتواترة لمخالفتها بعض أصول النحو وأقيسة اللغة عندهم، فالقراءات أصلٌ للنَّحو واللغة وليس العكس.

٤. القراءات القرآنية لونٌ من ألوان الإعجاز القرآني حيث إنَّ كلَّ قراءةٍ سدَّت مسدَّ آيةٍ، وتعدد القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة والإعجاز.

٥. الاختلاف الحاصل بين القراءات القرآنية هو اختلاف تنوعٍ وتغايرٍ في المعنى وليس اختلاف تضادٍ وتناقضٍ، فبتعدد القراءات تتسع المعاني وتتعدد.

٦. تتعدد آثار القراءات على التفسير من ناحية البلاغة والبيان والفقه والنحو وغير ذلك.

([1]) المستنير في تخريج القراءات المتواترة ج ٣ ص ٢٤.

([2]) مفاتيح الأغاني لأبي العلاء الكرمي ص ٣٦١.

([3]) ينظر: مجمع البيان م ٥ ج ٢٥ ص ٧.

٧. ليس كل قراءةٍ لها أثرٌ واضحٌ في التفسير، فإن من القراءات ما كان للتيسير على الأمة ورفع للحرج عنها، ومنها ما كان يتعلق في التفسير وبيان مقاصد الله تعالى.

٨. كثيرٌ من القراءات التي اعتبرها علماء التفسير أنَّها من قبيل اللغات، لها أثرٌ كبيرٌ على التفسير وأضافت معانٍ جديدةٍ ما كانت لتتضح إلاَّ بها.